مخلوقة تعالى فتقتضي على المخلوقين لا على الخالق لئلا يلزم قبول
الحوادث والتغير فان كليهما من امارات الحدوث وقد ثبت قدمه
سبحانه وقوله بحال اى في حال من احوال الانسان وغيره من ذوى
الاحوال لئلا يلزم التناقض في كلام الناظم في هذا المقام وقال
ابن جماعة ليس سبحانه بزمانى لئلا يلزم ان يكون حالا في الحوادث
والحاصل انه تعالى خالق للامكنة والازمنة والاحوال المختلفة
وكان الله ولم يكن معه شئ فالان على ما كان ولو جعل هذا البيت
بعد قوله وذاتا عز جهتها السمت خال لكان انسب في الجمع
بين نفي الزمان والمكان هذا وفي المواقف ان الرب تعالى لو كان
في جهة ومكان لزم قدم المكان وقد برهنا ان لا قديم سوى
الله تعالى وعليه الاتفاق

وَمُسْتَفْهِمٌ الٰهَهُمْ عَنْ نِسَاءٍ ۝ وَاَوْلَادِ اِنَاثٍ اَوْ رِجَالِ

اراد بالنساء الزوجات ونحوها من المملوكات وقوله اناث بالجر
بدل منها او لاد بدل البعض من الكل والمراد بالتفصيل على قصد
التكميل والا فالولد يشمل الذكر والانثى لغة وشرعا فالرابع والثالث
تعالى احد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا يغني الزوجة وما يتولد
منها وقال قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يكن له كفوا
احد وفيه تنبيه على انه احدى الذات واحد الصفات ستغني
عن الكائنات ويرجعون في قضاء الحاجات لم يحدث عن شئ ولم يحدث
ولم يكن له كفوا احد يعني لم يكن شبيه ولا
عديل وليس كمثله شئ وقيل جاء ناس من اليهود الى النبي فقالوا لنا ربك لعلنا نؤمن بك
فاخبرنا من اى شئ هو وهل يأكل ويشرب ومن ورث الربوبية ومن يورثها فانزل الله قل
هو الله احد يعني الذي سألتموني عنه هو الله واحد في الالوهية والربوبية الموصوف بصفات
الكمال والعظمة المفرد عن الشبيه والمثيل

لم يلد وذالك ان مشركي العرب قالوا
الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
فاكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه
ما قالوا بقوله لم يلد كما ولد عيسى
وعزير

عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا يا رسول الله
انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد
الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه
ليس شئ يولد الا يموت وليس شئ يموت
الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث
ولم يكن له كفوا احد يعني لم يكن شبيه ولا
عديل وليس كمثله شئ وقيل جاء ناس من اليهود الى النبي فقالوا لنا ربك لعلنا نؤمن بك
فاخبرنا من اى شئ هو وهل يأكل ويشرب ومن ورث الربوبية ومن يورثها فانزل الله قل
هو الله احد يعني الذي سألتموني عنه هو الله واحد في الالوهية والربوبية الموصوف بصفات

عنه شئ والمعنى ليس بجاوث ولا بمحل حادث فليس له والد ولا والدة
ولا ولد ولا شبيه له من ولد ولا من صاحبة ولا من غيرها وفي البيت رد
على النصارى في زعمهم الزوجية في حرم والابنية في عيسى وعلى كفار
مكة في قولهم الملائكة بنات الله وقد قال سبحانه رد عليهم الاولين حيث
قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد
الى ان قال ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة
كانا يأكلان الطعام اى يحتاجان الى اكلها بل يفتقران الى خروج
فضلتها فيبولان ويتغوطان فكيف يصلحان للالوهية وقال
في الآخرين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا
خلقهم وقال ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
الايات ولا بد من تقدير مضاف في البيت ليستقيم معنى الكلام
اى ومستفهم الههم عن اتخاذ نساء اذ لا يلزم من الاستفهام عن الشئ
التنزيه عنه فلو قال وقل ربي المنزه عن نسا كان احسن بناء

لِذَا عَنْ كُلِّ ذِي عَوْنٍ وَقَصْرٍ ۝ تَعَزَّزَ وَالْجَلَالِ وَذُو الْمَعَالِي

العون هنا بمعنى الاعانة والنصر بمعنى النصرة والاعانة عطف
عليه يقال تعزز بالامر اذا قام به منزه غير مشارك له في صفة والمعنى
ان الله تعالى هو منزه عن اتخاذ الاعوان والانصار عن المعين والناصر
من العباد في البلاد فان الله غني عن العالمين وقد قال وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل

وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى عيسى ابن الله
وهذه اقوالهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل
قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
وقوله تعالى قل ارأيتم شركائكم الذين تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك في السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم
بعضا الا غرورا وقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون وقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين وقوله تعالى ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم
ان يقولون الا كذبا وقوله تعالى ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
وكبره تكبيرا اى عظمه تعظيما عما نسبوا اليه من اتخاذ الولد ونحوه مما لا يليق بجلاله
لانه تعالى لا يحتاج الى شئ من ذلك لكمال غناه وتنزهه عن الحاجة والافتقار الى شئ
وانما يتخذ الولد من يحتاج اليه ليعينه او ليقوم مقامه بعد موته والله تعالى منزه عن ذلك
كله وقوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد اى ما صح له ذلك لانه يستلزم الحدوث
والتجزئ على الله محال لما مر وانما نفى الاتخاذ دون الولادة لان الكلام في نفي
الالوهية عن غيره تعالى وهي منتفية بانتفاء الاتخاذ دون الولادة لان الالوهية
لا تستلزم الولادة بل ربما تنافيها لان الولد جزء من الوالد والاله منزه عن التجزئ
والانقسام وقوله تعالى سبحانه اى تنزيها له عما نسبوا اليه من اتخاذ الولد
وقوله تعالى اذا اى لو كان له ولد لكان له حينئذ شريك في الالوهية لان الولد
لا يكون الا من جنس الوالد وهو محال لما مر وقوله تعالى لذهب كل اله بما خلق
اى لانفرد كل اله بما خلقه واستبد بتدبيره ولطلب العلو والغلبة على غيره
كما هو شأن ملوك الدنيا وقوله تعالى ولعلا بعضهم على بعض اى ولغلب بعضهم
بعضا بالقهر والاستيلاء كما هو شأن ملوك الدنيا وقوله تعالى سبحان الله عما يصفون
اى تنزه الله عما يصفه به المشركون من اتخاذ الولد وغيره مما لا يليق بجلاله
وقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اى لو فرض على سبيل
التنزل والمحال ان يكون لله ولد فانا اول من يعبده ويوحده ويعظمه
ويمجده لانه لا يأنف من عبادة ولده كما يأنف منها الجاحدون
وقوله تعالى ما لهم به من علم ولا لآبائهم اى ما لهم بما قالوا من اتخاذ الولد
من علم ولا لآبائهم الذين قلدوهم في ذلك علم وانما قالوه عن جهل وتقليد
وقوله تعالى كبرت كلمة تخرج من افواههم اى عظمت كلمة تخرج من افواههم
في القبح والشناعة وقوله تعالى ان يقولون الا كذبا اى ما يقولون في ذلك
الا كذبا وافتراء على الله تعالى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)